

الكشاف

" ويوم نحشرهم " ناصبه محذوف تقديره : ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الإبهام الذي هو داخل في التخويف " أين شركاؤكم " أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء □ . وقوله : " الذين كنتم تزعمون " معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان . وقرئ : " ويحشرهم " ثم يقول : بالياء فيهما . وإنما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة . فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم " فتننتهم " كفرهم . والمعنى : ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا إلا جوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به . ويجوز أن يراد : ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمي فتنة لأنه كذب . وقرئ : " تكن " بالتاء و " فتننتهم " بالنصب . وإنما أنث " أن قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولك : من كانت أمك ؟ وقرئ بالياء ونصب الفتنة . وبالياء والتاء مع رفع الفتنة . وقرئ : " ربنا " بالنصب على النداء " وصل عنهم " وغاب عنهم " ما كانوا يفترون " أي يفترون إلهيته وشفاعته . فإن قلت : كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور على أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته ؟ قلت : الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا : ألا تراهم يقولون : " ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون " المؤمنون : 107 ، وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه " ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك " الزخرف : 77 ، وقد علموا أنه لا يقضى عليهم . وأما قول من يقول : معناه : ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله : " انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عي وإقحام لأن المعنى الذي ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو . وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى : " يوم يبعثهم أجمعين " فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون " المجادلة : 18 ، بعد قوله : " ويحلفون على الكذب وهم يعلمون " المجادلة : 114 ، فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا .

" ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبكم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنون بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين وهم ينهون عنه ويننئون عنه وإن يهلكوا إلا أنفسهم وما يشعرون "

